جامعة إفريقيا العالمية
السودان - الخرطوم

ملتقى الجامعات الإفريقية

التداخل والتواصل في إفريقيا

أوراق المؤتمر العلمي

الكتاب الأول

الخرطوم - يناير 2006

جامعة أفريقيا العالمية

الخرطوم – السودان

ملتقى الجامعات الآفريقية

التداخل والتواصل فى أفريقيا

أوراق المؤتمر العلمى

الكتاب الأول

يناير ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة إفريقيا العالمية

مؤتمر التداخل والتواصل في إفريقيا

تضم صفحات هذا الملف الأوراق المقدمة لملتقي الجامعات الإفريقي، نشاط الندوة العلمية الذي يجئ تحت شعار التواصل والتداخل في إفريقيا ، ويهدف الملتقي إلي تعزيز روابط التواصل بين الجامعات الإفريقية ممثلة في الإدارات وهيئات التدريس والطلاب ، عسي إن يسهم في ذلك في إبراز حركة التواصل الروحي والفكري والسياسي والإجتماعي ،وإشاعة الوعي بالواقع الإفريقي وتبادل الخبرات لإيجاد مقدمات لرؤية مشتركة لحل مشكلات القارة.

ومن المآمول أن يؤدي ذلك لتعارف وتواصل الجامعات الإفريقية واكتشاف الجامعات لأفضل الطرق لافرقة الجامعات ، حتي تعود تنطق باسم القارة كما يسعى الملتقي لتوحيد العقل الإفريقي وإيجاد القاسم المشترك النابع من الحوار الإفريقي – الإفريقي، والتعاون الإفريقي- الإفريقي، وفتح قنوات التواصل بين الأفارقة.

ويضم هذا الملف الأول البحوث التي وصلت حسي المواعيد مما مكن من ترجمتها وطباعتها في هذا الملف، ونآمل أن نتمكن من تغطية كل البحوث الواردة في المؤتمر.

مع الشكر،،

إدارة الندوة

التعليم في أفريقيا
(التعليم الوافد)

د: جبر الله محمد الحسن
جامعة شندي

إذا كانت درجة التحضر بالنسبة للمجتمع في تقاس بالعلم و مدى فعاليته و التربية و مدى تطبيقها ، فهذا يقود إلى القول بأن أفريقيا تميزت بضعف حضاري لقلة العلم و التربية فيها . و لذلك كان الاهتمام بهذا قليلاً . الإنسان الأفريقي يوصف بأنه جاهل غير متحضر و كأنه يعيش في القرون المظلمة التي تسود فيها الشعوذة و الخرافة في تفكيرها و سلوكها العام . و قد تسببت في ذلك عوامل طبيعية و اقتصادية و سياسية و تربوية .

أ /ولاً : العوامل الطبيعية التي أدت إلى تأخر القارة منها

أ المناخ :

قارة أفريقيا تحد شمالاً بخط عرض 37° شمالاً و خط عرض 34° جنوباً و هذا يعني أن خط الاستواء يمر في وسطها و نجد مدار السرطان شمال خط الاستواء و مدار الجدي جنوب خط الاستواء . مما يسمح القول بأن قارة أفريقيا تتمتع بالمناخ المداري عموماً و هو يتميز بالحرارة العالية و الأمطار الصيفية فهو غير جاذب للسياحة الأمر الذي لا يساعد في الاتصال بالآخرين و لا يساعد في ترقية الحضارة فالمناخ كان عاملاً غير مساعد للنمو الحضاري .

ب/ الصحراء

تتميز القارة بوجود الصحراء الكبرى في شمال القارة أي شمال خط الاستواء و كذلك الصحراء في جنوب غرب أفريقيا صحراء كلهاري . فكانت الصحاري عقبة كؤدً في تواصل الشعوب فكانت حاجزاً للحراك الاجتماعي الأمر الذي أدى إلى تأخر القارة حضارياً .

جـ/ المياه الجارية

تتمتع قارة أفريقيا بعدة أنهر منها نهر النيل الذي ينبع من بحيرة فكتوريا و يوغندا و بحيرة تانا بالحبشة و يواصل مسيرته شمالاً إلى أن يصب في البحر الأبيض المتوسط إلا أن هذا النيل رغم أنه من أطول أنهار العالم و يكون في

طوله بعد نهر المسسبي إلا أنه به جنادل عدة مما اعترضت مسيرته بل تعترض الانتقال والتواصل عبره .

و كذلك نجد الأنهر التي تصب غرباً مثل نهر الكنغو و نهر الأورانج فالأول يصب في المحيط الأطلسي و الثاني ينتهي بصحراء كلهاري التي جعلت هذه المناطق قاحلة لعدم وجود الأمطار نسبة لمرور تيار بنجويلا البارد.

و كذلك نجد نهر موزمبيق الذي يصب شرقاً في المحيط الهندي بجانب ذلك نجد أنهر صغيرة مثل نهر شبيلي بالصومال و نهر اثنيجر الذي يصب جنوباً في المحيط الأطلسي إلا أن هذه الأنهر لم تلعب دوراً في الحراك الاجتماعي و لذلك كان دورها في التطور الثقافي ضعيفاً بما يجعلنا نقول بأنها ساهمت سلفاً في التأخر الحضاري .

د/ السواحل :

تميزت سواحل قارة أفريقيا بالاستقامة و قلت بها الموانئ فكان هذا عائقاً للحراك الثقافي بين الشعوب في القارات المجاورة . و كذلك لم تلعب المرتفعات في قارة أفريقيا دوراً يزيد من الثقافة في أفريقيا بل كانت الهضبة الإثيوبية عائقاً للثقافة الإسلامية و منعتها من الانتشار .

هذا يؤكد أن العوامل الطبيعية كان لها دوراً سلبياً حيث ساعدت في التأخر الثقافي و الحضاري للقارة .

ثانياً : العامل الاقتصادي

عدم التواصل و الحراك الاجتماعي و الثقافي جعل الثقافة العامة معتمدة على الشعوذة و الخرافات في تفكيرها فلم تحدث نهضة علمية أو فكرية للقارة و لذلك كان الإقتصاد الأفريقي بدائي في مدخلات الإنتاج فكان هذا مساهماً في التأخر الحضاري للقارة .

ثالثاً : العامل السياسي

أما العامل السياسي لم يكن أكثر حظاً من غيره بل إن الانحطاط الثقافي جعل القارة ممزقة ذات حروب عرقية دامية فهذا التناحر ساهم في التخلف الحضاري بالنسبة للقارة مثال بورنده و جنوب السودان .

نلاحظ تاريخياً أن شمال القارة و غربها قد حظي بثقافة حضارية إسلامية عاشت في القارة في القرون ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من الميلاد إلا أن الاكتشافات التي حدثت في القرن ١٦ م و القرن ١٧ م كانت لها عداوة شديدة للإسلام و المسلمين في القارة الأفريقية و الذي زاد الطين بلة الاستعمار

في القرن ١٩ م و القرن ٢٠ م و هذا قد سمح لنا بالقول بأن التعليم بالقارة وافد لأن السلطة الحاكمة وافدة فهي التي أتت بحضارتها و علمها و تربيتها و لكي نبحث عن التعليم في أفريقيا نبحث أولاً عن معنى النظام التعليمي .[١]

كلمة نظام تعني التأليف و الإنسان و الجمع بين شيئيين فأكثر مثل قولك نظم الشاعر قصيدة فهو ألف بين الكلمات و الجمل و رتب المعاني حتى أوضحت صورتها الجمالية .

و لفظ كلمة نظام تعني الطريقة و السيرة ، و ربما تستخدم للدلالة على جملة من المبادئ و القواعد لكي تحقق أهدافاً معينة .

أما المعنى الاصطلاحي فقد قال العالم بكلي أن النظام عبارة عن :

(كل مركب من الفضاء أو المكونات المرتبطة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بشكلية من العلاقات السببية بحيث يرتبط كل مكون بعدد من المكونات الأخرى بطريقة ثابتة و لفترة زمنية محددة) .[٢]

عليه يكون النظام شيئاً مركباً من عدد من الأجزاء المترابطة المتكاملة و كل جزء يؤدي وظيفة معينة بينما نجد التآزر و التكامل بين الأجزاء المختلفة .

أما تعريف التعليم فإنه : (صناعة تهدف إلى إنتاج أعداد من القوى البشرية التي تعمل في قطاعات الحياة المختلفة) .[٣]

إذن النظام التعليمي هو مجموع المبادئ و الأسس التي توجه العملية التعليمية و التربوية لتحقق الأهداف المرجوة في مؤسسة تعليمية معينة و في بيئة معينة و في زمن معين .

هذا التصور يراعي العناصر المهمة التي يجب توافرها في كل ما يصح أن نطلق عليه انه نظام تعليمي وتلك العناصر هي :

أ. **المرجعية** : وهي الفلسفات والقيم و المبادئ التي تقوم عليها العملية التعليمية .

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب ، تنظيم يوسف خياط ، طبعة دار لسان العرب بيروت (ن ، ظ ، م) .

[٢] أنظر Buck. W . sociology Modem systems theory , ١٩٦٧ prentcet , new jenny , Englewood cliffs . p p . ٤١-٤٦ .

نقلاً من كتاب النظم التعليمية الوافدة ص : ٤٤ .

[٣] محجوب عباس ، نحو منهج إسلامي في التربية ، مؤسسة علوم القرآن ١٩٨٧ ، دمشق ص : ١٦٠ .

ب. **الأهداف** : يراد بها استبصار سابق لجملة من النتائج و الغايات التي يمكن أن تتحقق وتمثل الأهداف الأساس التي تتحرك فيه العملية التعليمية .

ج. **البيئة** : وهي الظروف التي تحيط بالشخصية المستهدفة بالتعليم والمجتمع الذي يراد إحداث تغير فيه ، فتؤثر في شخصية ويؤثر فيها بعد تعليمه . [1]

هذه هي العناصر الثلاثة التي تتكون منها النظم التعليمية وفي ضوء خصائص كل منها يتم تصنيف النظم التعليمية بتصنيفات مختلفة وهذا يوصل إلى وصف وتصنيف علمي دقيق للنظم التعليمية السائدة في القارة الأفريقية الآن . وهذا يمهد لتحليلها ونقدها وتقديم البديل .

كان من المفترض أن تكون مرجعية النظام التعليمي في أفريقيا إنعكاساً للفلسفات والقيم التي يصنفها المتعلم . وكان من الواجب استهداف تحقيق غايات تتوافق مع مرجعية الدارس وفي نفس الوقت تلبي حاجات المتعلم وكذلك كان الواجب من النظام أن يصدر من واقع المتعلم وظروف بيئته فالنظام التعليمي الذي لا يلقي لهذه العوامل بالاً ليس له من وصف سوى انه نظاماً غربياً وافداً يشكل بقاءه عقبة في طريق أي تقدم أو تطور للمجتمعات التي يسود فيها هذا النظام .

ولذا نقول في اطمئنان بأن النظم التعليمية السائدة في معظم أفريقيا نظماً وافدة غربية لم تنبع من فلسفة و مبادئ و أسس المجتمع الأفريقي تحتاج إلى مراجعة جذرية . ولكي نثبت غربتها نقوم بتحليل النظم التعليمية .

تحليل النظم التعليمية السائدة في أفريقيا

التحليل عبارة عن دراسة معرفية لنظام تعليمي معين فالتحليل ينصب على مكونات هذه النظم وعناصرها الأساسية الثلاثة هي :

١/ مرجعيتها .

٢/ أهدافها .

٣/ البيئة المستهدفة بها .

لكي يتفهمها الإنسان ويحسن نقدها نقداً علمياً بناءً . فإذن تحقق ذلك و أوضحنا الدور الذي تلعبه هذه النظم في انحلال شباب القارة و إبعاده عن واقعة وان يعيش في دوارة التخلف الاقتصادي وجعل القارة مسرحاً للحرب الأهلية تقضي على الأخضر واليابس .

---

[1] الدمرداش سرحان ، المناهج ، مكتبة النشر سنة ١٩٩١ ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الرابعة ص : ٤٦ .

فإلي تحليل الأساسيات الثلاثة آنفة الذكر لنظم التعليم السائدة

أولاً : تحليل مرجعيات النظم التعليمية بالقارة

تحدث العلماء عن المناهج فقد أثبتت الدراسات الإسلامية أن المناهج الأفريقية جلها مناهج علمانية بعيدة كل البعد عن التربية الدينية وقد اتخذت المنهج الغربي الذي سار في ركب المحسوس الذي اعتبر الدين تقليدي يعتمد على الغيبيات . ولذلك هذا المنطوق نفسه أكد غربة المنهج وانه موفود واتي من الدول الغربية فنجد ذلك في كتاب المنهج من منظور إسلامي للدكتور حسين نشوان[1] حيث أكد أن المنهج الغربي علماني وكذلك الدكتور اللقاني[2] حيث أشار في تكوين المناهج إلى مرجعيتها والبيئة التي تعيش فيها و أنها نابعة من فلسفة المجتمع . و لكن التي توجد في القارة الأفريقية مأخوذة من المنهج العلماني .

وكذلك يستطيع الباحث أن يقول أن مناهج أفريقيا لم تستند إلى مرجعية دينية أفريقية فهي لا تؤمن إلا بالمدرك المحسوس وتنكر كل ما هو غيبي[3] .

وهنالك تصور قد يقود إلى خطأ وهو :-

١. التوسع في دائرة مرجعيات النظم التعليمية ، فقد تكون المرجعية مادة محسوسة مدركة أو قد تكون امراً غير مادي ولا محسوس . فان نفى المرجعية عن النظم بعدم اعترافها بثنائية المرجعية فهذا أمر غير مقبول .

٢. وكذلك الخلط بين مرجعية سديدة صحيحة ، أو باطلة وبين أن لا تكون مرجعية .

فهذان أمران مختلفان تمام الاختلاف . فهذا يمثل وجهة النظر الصحيحة . وعليه فان الإصرار على أن تكون المرجعية سماوية فقط ليس أمراً صحيحاً دائماً وذلك لأن المرجعية أشبه بمسالة الألوهية . حيث نجد بعض الناس يعبدون آلهة أرضية كما أن البعض يجمعون بين عبادة اله السماء واله الأرض مثل

---

[1] حسين نشوان ، المنهج من منظور اسلامي ، عمان الاردن ، دار الفرقان ١٩٩٢م

[2] جورجيني اللقاني ، المناهج بين النظرية والتطبيق ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م

[3] د. النجار – زغلول راغب – ازمة التعليم المعاصر ، طبعة سنة ١٩٩٥م ، الدار العالمية ، الرياض ، ص ٧٠

المشركين . ونوع ثالث لا يعبدون إلا اله واحد خالق كل شئ مثل المسلمين . وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تؤيد هذا المبدأ وترشد المسلمين وغيرهم بالتفريق بين مسالة الوجود ومسالة الصحة فالوجود نقيضه العدم وليس الصحة . والصحة نقيضها البطلان وليس العدم ولذلك المرجعية بطلانها ليس معناه عدمها ووجودها ليس معناه صحتها ولذلك وصف المرجعية بأنها لا دينية فهو وصف مجازي بمعني غير حقيقي وبدلاً منه يمكن القول بأنها باطلة أو قاصرة غير سديدة . وهذا يقود للقول بمرجعية دينية (غير سماوية،أرضية) تسير في محاور النظم التعليمية غير الإسلامية .

إن القول بوجود مرجعية لكل نظام تعليمي هو منهج علمي رصين متزن . فإن النظم التعليمية عن بكرة أبيها تصدر عن مرجعية ولكنها غير سماوية (أرضية) لأنها مرجعيات مصطنعة ومادية ، ونعتبر في حسنا الإسلامي أنها قاصرة لعجزها عن تقديم حياة السعادة والهناء للأفراد والمجتمعات في الدارين من ناحية ، و لأنها تنكرت لكون الوحي مصدراً للمعرفة والقيم الموجهة للعملية التعليمية من ناحية أخري .

فإذا قبلنا صدور كل نظام تعليمي عن مرجعيته فما هي مرجعيات النظم التعليمية الغربية والشرقية التي سادت فيما بعد على القارة الأفريقية ؟

وحقيقة بدلاً من الرجوع إلي كل نظام تعليمي خاص بالدول الأفريقية فإننا نعلم أن القارة الأفريقية في القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين سادها الاستعمار الغربي وجزء قليل من الدول الأفريقية ساده الأفكار الشرقية مثل انقولا و الكنغو . فبدلاً من الرجوع إلي كل دولة يمكن أن نناقش النظام الغربي لأنه يمثل جل القارة والأفكار الشرقية لأنها كانت ينظر إليها أنها مثال يحتذي .

في نقاش مرجعية النظام الغربي ومرجعية النظام الشرقي فهو يمثل مرجعية التعليم للقارة الأفريقية .

سبق أن ذكرنا أن النظام التعليمي له ثلاثة عناصر وهي المرجعية ، الأهداف ، البيئة . فماذا تعني هذه الكلمات الثلاث ؟ .

أولاً : المرجعية :

نعني بها الفلسفات والقيم والمبادئ العامة المنبثقة من المجتمع والتي تقوم عليها العملية التعليمية والتي يستند إليها في صياغة الأهداف التعليمية وتوجيه التربية بصورة عامة . وهذا على ضوئه سوف نناقش مرجعية النظام الغربي .

ثانياً : الأهداف التعليمية :

يراد بها استبصار سابق مقدم لجملة من النتائج والغايات التي يمكن أن تتحقق وهي تمثل النواة الأساسية التي تتحرك فيها العملية التعليمية .

ثالثاً البيئة :

ويقصد بها الظروف التي تحيط بالشخصية المستهدفة بالتعليم وبالمجتمع الذي يراد إحداث تغير فيه . فالبيئة تؤثر في المتعلم وكذلك المتعلم يؤثر في البيئة بعد تعلمه وبعد معرفتنا إلي معني المرجعية فإننا نعني الفلسفات والقيم والمبادئ العامة المنبثقة من المجتمع وهذا ما سوف نناقشه عن نظام التعليم الغربي و ما هي الفلسفة التي بنى عليها وما هي القيم والمبادئ .

نظام التعليم الغربي :

قامت الفلسفة والقيم والمبادئ وهي رافضة للدين (الدين المسيحي) وذلك للاتجاه السيئ الذي سلكته المسيحية ضد العلم فأوجدت القطيعة بين العلم و الدين .

فقد جاء في كتاب الإسلام وخصومه لسيد قطب ما يلي : [1]

(ولقد وقفت الكنيسة وقفه عنيدة في وجه هذا الاتجاه الجديد المنبثق من منبع الثقافة الإسلامية " البحث التجريبي الذي عمل به ونادى به ابن الهيثم " في الأندلس وفي الشرق كذلك وقابلت نتائج بحوث العلماء بجفوة و وعداء شديدين ،واستخدمت سلطاتها ضدهم بوحشية فهرب الناس والعلماء من الكنيسة ومن كل ظل للدين وتوجيهه فكأن اعتراف بالدين يعني اعتراف للطغيان الكنسي والوقوف ضد العلم .

وعندئذ كان الخصام بين الدين والعلم حتى مطلع القرن العشرين ، وهربت أوربا كلها من الدين وفي مطلع القرن العشرين جعل بعض العلماء يقفون ليلتقطوا أنفاسهم اللاهثة وهم يحسون بالخواء الروحي في التيه المقفر نحو أربعة قرون .

و قد أوضح الأوربيون أنهم يأخذون بآراء روجر بيكون و فرانسيس بيكون الذين قالوا عنهم (إليهم يرجع الفضل في ابتكار المذهب التجريبي) لكن الحقيقة أن هذا المذهب نجده عند العرب في الأندلس عند بن الهيثم .

---

[1] سيد قطب ، الاسلام وخصومه – بيروت سنة ١٩٦٧م – ص ٣٤

يقول بريفولت في كتابه بناء الإنسانية : (أن روجر بيكون درس اللغة العربية و العلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس . و ليس له الحق أن ينسب إليه ابتكار المنهج التجريبي) .

فكانت المرجعية مضطربة بين الحقيقة و الخيال و بين ما هو علم و ما هو خرافة رافضة لعلم الغيب و لا تريد الابتعاد عنه أو الاستمساك به) .

من هنا نرى تماماً أن نظام التعليم في أفريقيا بقيادة الأوربيين هو تعليم وافد ذو مرجعية وافدة غريبة عن الواقع الذي يطبق فيه . و له أهداف هلامية غامضة لا تتناسب مع معتقدات المجتمع الأفريقي .

و هذا النظام ذو سمات عديدة أهمها :-

١. الانبثاق عن مرجعية غريبة عن بيئة المتعلم . فالنظام الوافد يتسم بالتستر المتعمد و يتجاهل دور القيم الأفريقية في توجيه العملية التعليمية .

٢. استهداف تحقيق أهداف خارجية معلنة و غير معلنة لا تحدد الأهداف للمتعلم ، و يغلب عليها الضبابية و التعميمات لأن النظام وجد لكي يحقق أهدافاً استغلالية .

٣. تجاهله التام تركيبة بيئة المتعلم الاجتماعية و النفسية و العلمية و القيمية فهو متسم بتنزيل مشاكل غريبة على البيئة و الإصرار على المتعلم لتقمص مشاكل لا يعايشها . فهو نظام غير ملائم للإمكانات و المعتقدات . فعليه إن جل النظم السائدة في القارة تتسم بغرابة مرجعيتها لأنها تتمثل في انبثاقها عن الفكرة العلمانية في بعض الدول و عن الفكرة المادية في دول أفريقية أخرى . و كلتا الفكرتين غربيتا المنشأ آتية من العنصر المسيطر على القارة .

و كذلك تتسم النظم التعليمية السائدة بضبابية الأهداف لأن المعلن منها متعارضاً في صميمه مع غير المعلن . تقول النظم أنها تهدف إلى إيجاد مواطن صالح يدافع عن بلده غير أن الواقع فقد أنتج زمرةً من المتعلمين لا يهمهم سوى مصالحهم الشخصية[1] .

أما تجاهل تلك النظم ظروف القارة و حاجات و ضروريات المجتمعات فظاهر أن واضعي المنهج و المقررات الدراسية غضوا النظر عن الدراسات النقدية للوضع الغريب المتمثل في التركيبات و التجمعات السكانية التي خلفتها قوة الاستعمار و قوة الاستكبار عند استيلائها على القارة .

---

[1] د. قطب مصطفى سانو – النظم التعليمة الوافدة – وزارة الاوقاف – دولة قطر – سنة ١٩٩٨م

و خلاصة القول أن صدور النظم التعليمية السائدة في القارة اليوم عن فكرة العلمانية أو فكرة المادية الجدلية أمر غير منطقي نسبة لأن :

أ. لم تعان القارة من الدين الكنسي ما عانت منه أوروبا .

ب. لم تعان القارة من الملكية الفردية نظام الإقطاع ما عانت منه أوروبا و الشرق .

و كأن هاتين النقطتين كانتا سبباً في الاعتماد على العلمانية و الدعوة لها و الوقوف بجانبها بكل قوة .

إذن أن تكون المرجعية معتمدة على العلمانية أمر غير مبرر و غير مقبول فإذا تخلصت القارة من الاستعمار فكان ينبغي أن تتخلص من فكرة العلمانية أو المادية الجدلية لما لها من ارتباط وثيق بالاستعمار و الاحتلال مما يجعل القول يكون واضحاً في أن الاستعمار خرج بجسده و بقي بروحه و عقله و علمه و ثقافته و فكرته جاثماً على صدر الأمة الأفريقية .

فالآن كانت النتائج هي الفقر و التخلف و الحضارة الهابطة و الحروب الداخلية و القبلية و كل ذلك عنوان للقارة الأفريقية نتيجة للمرجعية العلمانية التي تتبعها النظم الأفريقية و كان حريّ بها أن تكون لها مرجعية من الوحي الإلهي السديد (الإسلام) و كانت لها تجربة به في بعض نواحي القارة خاصة الجزء الشمالي و الغربي و أطراف شرق القارة إلى موزمبيق .

فالمرجعية المأخوذة من الوحي تقنن قيماً تصهر بها عادات و طبائع المجتمع و تؤلف بينه و تجعله مترابطاً و يكون له أهدافاً نحو السماء و العلياء.

و على كل فإن صفوة القول هي أن مرجعيات النظم التعليمية السائدة وافدة و غريبة عن الساحة الأفريقية و الإنسان الأفريقي الأمر الذي يجعل تخلص القارة برمتها منه أمراً يسيراً و سهلاً و يمكن استبدال ذلك بمرجعية قيمية و هذا شئ ضروري و واقعي لتحقيق حياة أفضل و تقدم على سائر المجالات .

مرجعية النظم التعليمية الشرقية :

فقد اعتنقت فكرة المادية الجدلية و جعلتها مرجعية لها و قد أكدت هي الأخرى عدم الاعتراف بمرجعية الدين و عدم الاعتراف بالوحي . و جعلت المادة هي الشئ الوحيد الأصيل في هذا الكون و أن كل ما في الكون منبثقة من المادة و محكوم بقوانينها . فالطبيعة هي الخالق الذي أنشأ الحياة و الإنسان و كل ما يتصل به من أفكار و مشاعر و عواطف .

و على هذا الأساس فإن المادة هي المرجعية العليا التي توجه الأهداف و العملية التعليمية في جميع مراحلها .

فالفكرة المادية تفسر القيم المعنوية تفسيراً تاريخياً مادياً و لذلك ينظر إلى القيم على أنها نتاج لأوضاع المجتمع الاقتصادي .

إذن القيم تكون غير ثابتة ، و هذه النتيجة تقودنا إلى القول بأننا لا يمكن أن نؤسس العملية التعليمية على مبدأ أو قيمة متغيرة .

فالمادية الجدلية نشأت كرد فعل للرأسمالية[1] التي أطلقت حركة الملكية الفردية و أعلت من شأنها و جعلت الدين أمراً شخصياً أما المادية الجدلية فقد رأت إقصاء الدين ليس من مرافق الحياة العملية فحسب و إنما عن الحياة الشخصية للإنسان . و لذلك كانت التربية الشرقية نتاج المادية الجدلية ففككت أوصال المجتمع و جعلته ينبذ بعضه بعضاً مما كان له أثره السيئ على حياة الإنسان خاصة الإنسان الأفريقي .

فإذا كانت لنا إلمامة سريعة عن مرجعيات النظم التعليمية التي سادت شرقاً و غرباً تحت ظروف خاصة قادتها إلى ذلك . فمن الطبيعي أن نتساءل مدى معاناة الأقطار الأفريقية التي تتبنى هذه النظم التعليمية بمرجعياتها المختلفة . هل عاشت نفس الظروف الاقتصادية و الدينية السيئة التي عاشها الغرب و الشرق أم أنها تبنت هذه المرجعيات لأن المستعمر قد فرضها .

والحقيقة الماثلة التي لم يقلها أحد غير التاريخ هذه الأحوال و تلك الظروف لم يمر بها قطر أفريقي واحد و لم يعش الإنسان الأفريقي أوضاعاً تشبه الأوضاع التي مر بها الإنسان الغربي أو الشرقي من انفصام من الدين و العلم أو نظام الإقطاع المذري للحياة الاقتصادية .

والإجابة للسؤال السابق هي " لأن المستعمر فرضها " فإذا قامت الثورات و طالبت بالاستغلال و إبعاد الرجل الأبيض من السلطة . فلكي نأخذ استقلالنا الحقيقي أن نبعد أفكاره و نظم عاداته و تقاليده و نظامه الاقتصادي فهذا التغيير لا يحدث في المجتمع إلا بواسطة التربية التي توجد الحراك الصاعد في المجتمع و لكي يحدث هذا لا بد لنا أن نبعد المرجعية الغربية و الشرقية المتمثلة في النظم التعليمية القائمة في بلادنا الأفريقية من العلمانية و المادية الجدلية .

---

[1] د. علي هود باعباد – نظم التعليم فلسفتها في دول العالم – الطبعة الثالثة – سنة ١٩٩٢م ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ص ٤١

و قد كتب جوردن في كتابه – أفريقيا الحاضرة – : (لم يحدث صدام بين الإسلام والأديان الأخرى في القارة الأفريقية ، الأمر الذي أدى إلى سرعة انتشار الإسلام بالقارة أما الدين الكنسي فقد ارتبط بالاستعمار . فالمبشرون هم الذين مهدوا الطريق للمستعمر و لذلك كان الإسلام أكثر انتشاراً في القارة و قدم أفكاراً و قيماً ترفع من شأن الإنسان الأفريقي . إلا أن المستعمر أتى و هدم كل إصلاح للقيم فأورث القارة حياة الضعف و الذل و هدم القيم الإنسانية)[٢]

بعد الذي أوضحناه من النتائج السلبية التي نالتها القارة من المرجعية الوافدة من قوى الاستعمار و الاستكبار بل أصبحت المدارس و المعاهد و الجامعات المنتشرة في القارة لا تعطي النشء شيئاً من قيمة الصدق و العدالة و الاستقامة و السماحة و الوفاء و الإيثار حتى أصبح الإنسان الأفريقي ذا عداوة شرسة لأخيه الأفريقي و أصبحت منظمة حقوق الإنسان تجد مرتعها الخصب في القارة . بعد هذا كله و للأسف البليغ أن النظم التعليمية السائدة في القارة أن مرجعيتها هي العلمانية أو المادية الجدلية و هي مرجعيات أثبتنا أنها وافدة و غريبة عن الساحة الأفريقية . فهل آن الأوان للتخلص من تلك المرجعيات و إعطاء الفرصة للوحي الذي ينادي بالقيم السامية لكي نغرس في نفوس إخواننا الأفارقة هذه القيم ؟ .

ثانياً : تحليل أهداف النظم التعليمية السائدة :

كل نظام تعليمي له أهداف يسعى لتحقيقها بل التخطيط يجعل الإنسان يضع أهدافاً بواسطة التخطيط السليم يصل إلى تحقيقها . فهل الأهداف تنشأ من فراغ ؟ و الصحيح لا . بل هنالك مصادر للأهداف و هي المجتمع و المتعلم و المعرفة و الاتجاهات العالمية و هي نفس الأسس التي يبنى عليها المنهج السليم[١] يرجع إليها في اختيار الأهداف و تحديدها .

---

٢) see editor Gordon , April and Gordon Donald : UNDER. STANDING CONTEMPORARY AFRICA١٩٩٢ , Lynme Reinmer Publishers ,(olorado.USA) pp مأخوذ من كتاب النظم التعليمية الوافدة ص : ٦٣ .٢٤٧-٢٤٠

[١] د. احمد حسين اللقاني – المناهج بين النظرية والتطبيق – الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م ص ١٦١

أولاً : المجتمع :

فالمجتمع له فلسفته و ثقافته يؤمن بها و يسعى إلى تربية أبنائه على ضوئها فهو يرى أن تنقل الثقافة عبر أجيال المستقبل غير النظام التعليمي و مؤسساته فالمستعمر ضرب بثقافة و فلسفة المجتمع عرض الحائط و ركز فلسفته و ثقافته و جعلها هي المرجعية كما بينا ذلك . و لذلك جعل العلمانية و المادية الجدلية هي المصدر للأهداف لنظم التعليم فأنشأ أجيالاً غرباء على مجتمعهم فهذا يؤكد لنا أن هنالك ترابط بين المجتمع و ثقافته و فلسفته و بين الأهداف . فإذا كانت مرجعية المجتمع مادية كانت الأهداف مادية و إذا كانت روحية كانت الأهداف روحية و إذا كانت خليطاً بين المادية و الروحية كانت الأهداف كذلك . و الشئ المؤسف حقاً كانت ثقافة و فلسفة المستعمر علمانية مادية خالية من الجانب الروحي و لذلك كانت الأهداف خالية من الجانب الروحي .

المصدر الثاني : المتعلم :

فله طبيعة خاصة في كل مستوى و لديه من الخبرات و التطلعات الكامنة و التي تفرض مضامين و أهدافاً و أساليب تربوية معينة . إلا أن الرجل الأبيض سلب المتعلم طبيعته الخاصة و غلق على خبراته و تطلعاته حتى جعله غريب المنشأ و التفكير مما جعل هذا المصدر لا يسير في الاتجاه الصحيح بل يسير في خدمة المستعمر . فهل وعيت القارة الأفريقية الدور الذي لعبه الاستعمار بالنسبة لأبنائها ؟ و هل سوف يصبح المتعلم مصدراً للأهداف التربوية ؟ .

المصدر الثالث : المعرفة :

هي أحد مجالات الفلسفة . فالمعرفة هي إدراك الأشياء بالحواس و العقل . فهي إدراك الجزء بينما العلم هو إدراك الكل فهي تستخدم في التصور و وضوح صورة الأشياء و أما درجات المعرفة هي الحسية ، و العقلية و البنائية و أخبار الوحي . فالفعل يأتي خطوة ثانية بعد الإحساس و لكي تكتمل المعرفة تحدث الصورة البنائية في الفعل و لكي تستمر المعرفة تكون هنالك أخبار الوحي الذي يفتح آفاق المعرفة . و هذا هو الجانب الذي تفقده العلمانية و المادية الجدلية و لذلك تصبح المعرفة مصدر غير موفق في أن تكون مصدراً للأهداف و هذا ما يعاني منه نظام التعليم في أفريقيا .

المصدر الرابع : الاتجاهات العالمية :

هذا المصدر لم يكن فعالاً نسبة لأن القارة كانت في معزل من العالم و عندما استقلت وجدت نفسها في المرتبة الدنيا من العالم و ورثت الضعف و الهوان و الفقر و الجهل و الحروب القبلية فكان المستعمر هو الذي جعل القارة في عزلة تامة من العالم لهذا لم يكن هذا المصدر أكثر قيمة من سابقيه .

مما ذكر سابقاً مؤشر يؤكد غربة الهدف و غربة مصادره الأمر الذي جعل الأهداف تحقق غايات هامة للمستعمر و الإنسان الأفريقي له الدمار و النية في خضم الحياة .

يمكن أن نضرب مثالاً واحداً لنؤكد فيه غربة مصادر الأهداف . والمثال نضربه من السودان عندما استحكم الأمر للإنجليز و المصريين عام ١٨٩٨ م و عقدوا الاتفاقية الثنائية عام ١٨٩٩ م ووضع كرومر سياسة التعليم في السودان و أوضح ذلك في مذكرة تضم النقاط الآتية :[1]

١. أن يتعرف من عدد الطلاب المؤهلين للدراسة بالمدارس الابتدائية .
٢. تطوير مدارس البنات : لأنه في الأصل لا يوجد تعلم البنات و يمكن أن تكون معولاً يحارب به التعصب الديني كما يزعمون .
٣. التعلم لإجادة القراءة و الكتابة فقط للاستعانة بهم في إدارة شئون الدولة .
٤. يتخوفون من التعليم التقليدي (التعليم الإسلامي) نيوجد به جماعة لها الحماس الديني فلابد من إدخال مواد أخرى للتقليل من التعلم التقليدي .
٥. الوقوف ضد المهرجلين (التعصب الديني) بواسطة العلم و التربية .
٦. أن يختصر التعليم الديني على المعلومات الأولية فقط .
٧. ربط التعليم بالوظيفة : حتى لا يجد الذين يتعلمون في المدارس الدينية وظائف و كذلك وجه أن يختصر التعليم على نفر تحتاج إليهم الدولة في وظائفها.

نلاحظ من النقاط أعلاه أن كرومر أهمل المصادر الأربعة التي سبق ذكرها بأنها مصادر للأهداف و لذلك كانت أهدافاً غريبة على المجتمع السوداني و كانت تقف على منبر العلمانية و المادية و تعاند موقف الوحي الإلهي .

لاشك أن هناك تفاوت بين درجات الأهداف وأهميتها . فيوجد هدف كلي أسمى وأعلى لكل نظام تتمحور حوله بقية الأهداف . وهذا الهدف الكلي للنظم

---

[1] محمد عمر بشير – تطور التعليم في السودان – القاهرة – الطبعة الاولي ص ٦٦-٦٧

التعليمية الغربية والشرقية هو الذي نوضحه ونحلله ولا داعي لتحليل الأهـداف الجزئية الأخرى .

هدف النظم التعليمية الغربية :

هو تربية النزعة الفردية ، في إنتاج الفرد المادي .

النظم الغربية تركز إنتاج فرد مادي (مواطن صالح) وتعتبر ذلك أسمى غاية وأعلى هدف يتوقع من التعليم ولذلك اهتمت بالملكية الفردية والدفاع عنهـا وجعلته مبدأ ليتنازع حوله . فهي ترى إن زرع النزعة الفرديـة هـي الوسـيلة لإنتاج فرد حريص على مصالحه الخاصة وان يحقق رغباته وشـهواته بـشتى الطرق والوسائل . فلم تكن للفرد قيمة أو عجز عن تلبية رغباته .

نجد مبدأ العمل في هذه المجتمعات أساسيا ومهماً في البقاء . فالعمل أي نوع من أنواع العمل فهو مقدس مادام يحقق حيازة المال . فأصبح الميـزان إن العمل الشريف هو الذي ينتج أموالا كثيرة لصاحبه فيكون الصدق شكلاً ذا قيمـة عظيمة إذا حقق لصاحبه أموالا كثيرة و إلا كان ذا قيمة دنيئة . ولذلك يـصمم هدف التعليم في هذه المجتمعات ليحقق هذا المبدأ . وهذا ما نجده في أفريقيا حيث كانت المرجعية هي العلمانية المستوردة من الغرب و كان هدف التعلـيم يحقـق مبدأ حيازة المال من أى نوع من العمل بأى وسيلة بغض النظر عن القيم العالي.

هدف النظم التعليمية الشرقية :

هو تربية النزعة الجماعية ، فإنتاج مجتمع مادي . يتحقق هذا الهـدف بمصادرة الملكية الفردية باعتبارها هي مصدر الشر كله وتفسر المبادئ والقـيم بأنها أفيون مخدر ولذلك لا اعتبار لاى قيمة تقف دون تحقيق هدف إيجاد مجتمع مادي جماعي . فاستطاعة هذه النظم أن تنتج مجتمعاً مادياً ينتعش فيه الكـسل والبطالة والخمول فالفكرة تصل روح المبادرة والإبداع . فجعلت أهداف التعلـيم تقوم على محاربة الملكية الفردية بشتى الصور وان تحارب كل قيمة تعترض من قيام مجتمع مادي

من هنا نجد أن التربية الغربية والشرقية ذات هدف مادي خـالي مـن الجانب الروحي السامي فهل هذا ما تريده القارة الأفريقية عندما ثبتت العلمانيـة والمادية الجدلية ؟ .

القارة الأفريقية وأهداف النظم السائدة :

إن هذه الأهداف غريبة على حياة القارة ووافدة عليها فقد قامت من خلال ظروف وأوضاع لا تعرفها بل تمت صياغتها بعيدا عن الواقع الأفريقي .

فعلى سبيل المثال فهدف إنتاج الفرد المادي أورث القارة أمراض الأنانية والرشوة والحقد والحسد والفساد السياسي و الادارى والانحلال الخلقي وكل ذلك يصب في دائرة التخلف الحضاري والسبب يرجع أن القارة عندما تبنت هذا الهدف لم تأخذ معه السياج القانوني القادر على حماية مصالح عامة الناس .

و أما الهدف الشرقي أورثت القارة جملة من أمراض التخلف وصدرت الملكيات وساوت بين العامل والكسول .

وعلى العموم كلا الهدفين ساهما في تخلف القارة و تأخرها مثل الكنغو و أنغولا.

ولعلاج ذلك أن تستبدلها بهدف أسمى وأعلى وهو إنتاج الفرد الصالح الذي ينطلق من توجيهات الوحي وان يتعامل مع الواقع المعاش وتحقيق رفاهية شاملة لأفراد المجتمع وهو الهدف المفقود .

ثالثاً : تحليل مدى ملاءمة النظم التعليمية السائدة للقارة :

إن نجاح النظام التعليمي مرهون بمدى توافره على ملاءمة البيئة ومواكبة ضروريات المجتمع. فالنظم التعليمية الوافدة تقود للقول لعدم ملاءمتها للواقع المعاش في القارة ، و يتضح هذا الأمر من خلال اللغة التي تعتمدها تلك النظم مدخلاً للتأثير وعدم ربط المتعلم بواقع القارة .

ولغة التعلم عامل مؤكد على عدم ملاءمة النظم التعليمية للقارة .

ويتفق جميع علماء التربية والتعليم على أن اللغة أهم عوامل توحيد آمة أو شعب ولذلك فإن اى نظام تعليمي يتم بناءه في لغة غير لغة الأمة أو الشعب فإنه سيظل خاضعاً من حيث الأهداف والمرجعية والانتماء لأهل تلك اللغة ، وهذا ما حققناه ووجدناه في الصفحات السابقة .

فإن لغة التعليم في سائر أقطار القارة ماعدا الدول العربية ، لغة أجنبية وافدة ولاشك أن وافدية اللغة وغربتها يشكل عقبة كأداء في استيعاب المعلومات وجعل ثقافة المتعلم مرتبطة بثقافة أهل و أصحاب اللغة .

فإن غربة اللغة عن واقع البيئة غاية مقصودة من جانب الاستعمار .تى تعينه على نهب وسرقة خيرات البلاد خلال قرون عديدة . وعمد المستعمر إلي الاستيطان العشوائي والتوزيع التخطيطي لأقطار القارة بحيث يصبح الحاجة ماسة لإيجاد لغة توحد بين أجزاء القطر بجانب تأجج نار الحرب الأهلية ،ومن أمثلة ذلك .

إمبراطورية التوتسي في شرق القارة كانت تمثل وحدة متجانسة فمزقها المستعمر جعل جزءاً منها في بورندي وآخر في رواندا وثالث في يوغندا ورابع

في زائير . وهم في هذه المناطق يشكلون أقلية وكذلك مملكة ماندیغو في غرب القارة مزقها المستعمر ووزعها على عدد من الأقطار منهم في مالي وآخرين في غينيا وآخرين في سيراليون والبعض في ليبريا وآخرين في بوركينا فاسو ... الخ ، وكذلك إمبراطورية الفولاني توزعت في سبع دول. وأصبحت سياسة المستعمر التعاطف مع الأقليات لتأجيج نار الحرب الأهلية وفي الوقت الحاضر تقوم منظمة حقوق الإنسان بدور المستعمر فظاهرها حقوق الإنسان لكن الغرض السامي إشعال نار الحرب الأهلية واستمرارها لكي تضعف القارة ويصبح احتياجها إلي أوربا أشد .

يتضح مما سبق أن النظم التعليمية السائدة غير ملائمة أو متلائمة مع القارة ولغة التعليم كان خير شاهد ودليل على ذلك بجانب ما أنتجه هذا النظام من عقول وجماعات وحياة مليئة بالتناقض والتصارع في التصورات والتوجيهات وعدم توفر ضروريات الحياة السليمة المستقيمة الآمنة.

هذا كله أكد وافدية نظم التعليم الإفريقي و نأمل أن يعالج في مرجعيته وهدفه ملاءمة بيئته .

فالقيم السامية من العدل والمساواة والحرية و الأخلاق الفاضلة ونكران الذات والتعاون والإيثار والتعاطف و التحابب بين أفراد المجتمع وإيجاد المجتمع الفاضل المتآخي والمتآزر الذي ينبذ التخلف الحاضري والاقتصادي والحروب الأهلية واحترام الرأي والرأي الآخر واحترام حقوق الإنسان كاملة...الخ ، كل ذلك يمكن إيجاده بواسطة النظم التعليمية إذا جعلنا أهدافنا روحية علمية منبثقة من لغة المجتمع. وخير مثال في ذلك هو التربية الإسلامية حيث أنها شاملة لكل متطلبات الحياة.

و نذيل هذا البحث بآثار النظم التعليمية الوافدة على الشباب الإفريقي
كما كتبها الدكتور قطب مصطفى سانو في كتابة النظم التعليمية الوافدة بتصرف.
أولاً : الآثار على الشباب على مستوى التدين :
مرجعية النظم التعليمية الأفريقية قامت على علمانية التعليم ولذلك كانت تعمل على فصل الدين وعزله من حياة الشباب الأمر الذي أوجد فقدان التوازن بين الجانب المادي والجانب الأدبي الروحي عند الشباب رغم أن الدين الإسلامي يشكل نسبة عالية وسط سكان القارة . ولذلك كان من نتائج ذلك أن نادى الشباب بفصل الدين عن العلم وكذلك فصل الدين عن الدولة بجانب ذلك أن الشباب المسلم لا يرى فرقاً بين الدين الكنسي والدين الإسلامي .
ثانياً : نظرة الشباب إلي الحياة :
نظم التعليم أنتجت شباباً مادياً نشأت فيه تربية النزعة الفردية أو النزعة الجماعية فأصبح فهمهم للقيم مثل الصدق و الأمانة والعدالة مقروناً بالفوائد المادية فقط . وقد أخذوا بالمبدأ القائل : " دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر " . في حين أن القارة تحتاج إلي شباب متعلم يصدر عن توجيهات خالق الحياة ويرى الدين السياسي والاقتصادي والاجتماعي ويتحمل المسئولية اتجاه ربه ووطنه وأمته .
ثالثاً : نظرة الشباب إلي مجتمعاتهم :
عندما يتولى الشباب مقاليد السلطة يتخلوا عن دينهم ثم عن افريقيتهم ولعل اللغة أكبر عقدة مواجهة الشباب لأنها ربطته بثقافة المستعمر الأمر الذي يجعله متخلياً عن دينه وافريقيته .
و أخيراً نلخص أهم أثار هذه النظم على الشباب الأفريقي في النقاط الآتية :
أ- الفهم المقلوب للدين خاصة الدين الإسلامي .
ب- لا يفرق الشباب المسلم الأفريقي بين الوحي الإلهي لهداية البشرية جمعاء وبين الدين الكنسي الذي فرض صراعاً بين العلم والدين .

ج- سيادة قيم التخلف على عقول الشباب مثل الأنانيـــة والقبليـــة والمحـــسوبية والاختلاط .
د- الانبهار بكل ما هو غربي أو شرقي حتى أورثهم بالشعور بالهزيمة الداخلية .
وأخيراً نأمل أن تفيق القارة من نومها وينقذ حكامها ما يمكن إنقاذه وبالله التوفيق .

المراجع

١- ابن منظور _ لسان العرب _ تنظيم يوسف خياط _ طبعـــة دار العـــرب _ بيروت.
٢- أحمد حسين اللفاني _ المناهج بين النظرية والتطبيق _الطبعة الثانية ١٩٨٢م .
٣- الدمرداش سرحان _ المناهج - مكتبة النـــسر ١٩٩١م _ القـــاهرة الطبعـــة الرابعة .
٤- النجار وزغلول راقب _ أزمة التعليم المعاصـــر طبعـــة ١٩٩٥م _ الـــدار العالمية _الرياض .
٥- حسين نشوان _ المنهج من منظور إسلامي _ عمان الأردن _ دار الفرقـــان ١٩٩٢م .
٦- سيد قطب _ الإسلام وخصومه _ بيروت ١٩٦٧م .

٧- على هود باعباد _ نظم التعليم وفلسفاتها في العالم - الطبعة الثالثة _ دار الفكر المعاصر ١٩٩٢م _ بيروت .
٨- قطب مصطفي سانو _ النظم التعليمية الوافدة _ وزارة الأوقاف دولة قطر ١٩٩٨م.
٩- محجوب عباس _ نحو منهج إسلامي في التربية _ مؤسسة علوم القرآن ١٩٨٧م _ دمشق .
١٠- محمد عمر بشير _ تطور التعليم في السودان _ القاهرة الطبعة الأولي .
١١- منير مرسي _ فلسفة التربية _ عالم الكتب ١٩٩٣م _ القاهرة .

المراجع الإنجليزية منقولة من كتاب النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا

١\ Buekly .W .Sociology and Modem Systems theory ,١٩٦٧ , prentiet, New Jeroy Engleweed .Cliffs.pp.٤١-٤٦ .

٢\ See Editor Gordon .April and Gordon Donald , UNDERSTANING. CO NTEMPORARY. AFRICAN, (١٩٩٢ , Lynme Reinmer .Publishers , Colorado, ,USA)